

المشرق

زراعة النخيل

للشباب الاديب ميشال اندي الياس سماحه

قالت فصحاء العرب ان النخيل زينة الحدائق وعرس الجنائن واحد اثمار الجنة .
 ووصفه بعض كتبة الافرنج فقالوا انه فخر النبات واكليل الرياض وانفع الاشجار . وقد
 اتخذ الاقدمون سعف النخيل رمزاً وشعاراً يشيرون به في احوال شتى الى الفرح
 والفوز والثبات الى غير ذلك مما تواتر ذكره ووصفه في الاسفار المقدسة وتسمى بذكره
 انصحاء والشعراء .

ولا يزال سعف النخيل لغاية يومنا هذا من شامز الاجلال والتعظيم ومن معالم
 الزينة والتكريم لتواحي الصناعة والفنون ومخايل العلم والادب . وليس في عالم النبات
 شجرة اصلىح من النخيل من حيث تنوع منافعه وكثرة موارده لاصحابه خصوصاً وهو
 لا يستلزم عناء كبيراً ولا يقتضي خدمات شاقة كما انه لا يشتد على نفقات طائفة . هذا
 وان النخيل من الاشجار المثمرة التي تعمّر طويلاً ودماً ارجى عمرها على مائة عام وهي
 لا تنقطع عن الطرح ولا تنفك عن الاغلال . وقد تهب عليه في بعض المناطق
 والسهول الرياح الشديدة والاعاصير القوية فيقارمها بيبات ويكافح هجماتها بجأش

١ بلاد النخيل

النخيل من الفصيلة الطويلة الساق المروقة بالرحيدة الفلقة (Monocoty-
 édones) كاشجار الوز وجوز الهند وورد الند الى غير ذلك . وذكر احد المؤرخين ان
 اصل هذا النبات من جهات العرب ويذهب البعض ان اصله من الواحات وهو ينبت

في تلك البلاد من تلقا. نفسه وبدون اهتمام خاص وقد عُني العرب بزراعة النخيل عنايةً عظيمةً فادخلوه في اثناء فتوحاتهم الى اكثر البلاد وغروا منه اشجاراً كثيرة. كما قد اهتمت بزراعتها اكثر الامم لشه الشهى اللذيذ وعصوله الغالي العزيز فشغف بزراعتها الافرنسيس مع عدم موافقة سماء تربتهم له وبلغ ما غرسه الاهالي هناك من شجر النخيل ما يقارب الحسمائة حديقة ولا تزال زراعة هذا الصنف آخذة عندهم خطوة الزيادة والتحصين ويقدرون ربع النخلة الواحدة بستة فرتكات. والنخيل كثير في وادي النيل وهو اكثر اشجار القطر المصري ويقدرون المزرع منه ستة آلاف الف شجرة منها اربعة آلاف الف في الصعيد والباقي في الوجه البحري. اماً ريعه فانهم يقدرونه بما يزيد عن مليون ونصف مليون جنيه. غير ان معظم الفلة الحاصلة يستهلكها المصريون في بلادهم ولا يصمدون منها للخارج سوى كمية قليلة

ويزرع النخيل في اكثر اقطار بلاد الشام وفي جميع انحاء العرب واكثره في يثرب (المدينة) فهو فيها كالنواياض بكثرة ومن دخل تلك المدينة خيل له الدخول الى غوطة دمشق الشام . والاحساء مشهورة بنخيلها وكذلك القطيف واليامة ويزرع النخيل في وادي العراق واكثره في البصرة ويرتفع ماء الفرات في المد فيغطي في ابله البساتين والنخيل ثم ينحط بالجزر فينكشف عنها ويصتي اهالي بلاد ايران بزراعة هذا الصنف . ومن البلاد المشهورة بزراعة النخيل بلاد الجريد وسيت كذلك لكثرة نخيلها ومثلها بلاد طرابلس الغرب وينمو نخيلها نمواً عجبياً حتى يدرك علو الشجرة المائة قدم . ويزرع النخيل في واحات فزان وعلى ريعه يتسدد الاهاون لسداد عوزهم وعلى موسم اغلاله تقوم عندهم سوق التجارة وتترق الاشغال . ومنه في جوار مدينة صنعاء بنحو من ٢٠٠,٠٠٠ نخلة . ويزرع النخيل بكثرة في بلاد مراکش كما وانه ينبت في اكثر جهات افريقية الغربية ويوجد منه في بعض بلاد اسبانيا والبرتغال وايطاليا واليونان وكوبا وكاليفورنيا وخلافها . وقد اشتهرت به سابقاً سواحل الشام حتى ان اسم فينيقية (Phoenicia) اشتق من اسم شجره (Foenice) وهو باليونانية النخيل لان هذا الشجر كان يزين تلك البلاد . وهو كثير في الهند وجزائر الملوك منه صنف لا يشر الا مرة واحدة لكن شروعه يحمل ثقتاً وعشرين الف تنرة . ومنه صنف آخر توصل براعه

٢ اصول زراعته

ولا تجود زراعة النخيل في الاقاليم الباردة كما وانها لا يعيش منفرداً في الصحروات لعدم حصول الاعتناء اللازم لإخصايه وتلقيح اشجاره . وفي فصل الربيع يتبدى بالازهار ويكون ذلك أولاً في الذكر من النخيل ويحصل عند ذلك التلقيح الطبيعي ولعدم انتظامه قد تبقى اغلب ثماره عقيمة فيممد لذلك المزارعون سنرياً الى التلقيح الصناعي . اما كيفية زراعته فهي ان تحرث الارض أولاً حرثاً جيداً ثم تقسم الى خطوط متوازية ويضع فيها حفر متباعدة عن بعضها بمقدار مترين على الاقل ويوضع فيها مقدار مناسب من السواد ثم تنزل فيها الشجيرات وتطمر جذورها بالتراب وتبقى بعد ذلك بماء غزير ويعاد ذلك في كل اسبوع ما خلا عند ترول الامطار ويؤادوم على هذه الخدمة قريباً من عام

ولاعراب البادية نظراً ناقب بمعرفة انثى النخيل من الذكر ولهم بزراعة هذا النبات وإخصايه وتحسين اغلاله طرق شتى . قال الدكتور فيجري بك في كتابه علم الزراعة ما يأتي :

« والزراعون واهراب البادية لا يرغبون في التخييل المتحصل من النوى لأن اغلبه يصير ذكراً حتى ترهر النخيل بعمر الذكر من الانثى فيقطمونه وينتفون بيماره ويترك لكل عشرين من النخيل الاناث ذكراً واحداً بل عرفوا ان للذكر الواحد يكفي لإخصاب اربعين من النخيل الاناث . واذا طمن النخيل في السن وكانت ثماره جيدة ولم ينبت في قاعدته خلانة اي نخل صغير خصوصاً لم يتوفوا من نواه فخللاً جيداً بالزرع فيحفظونه بنقله بواسطة الترفيد المرفوف الذي هو الواسطة الوحيدة في ذلك . ويقبل ذلك على الكيفية الآتية وسط الشتاء ان تثقب النخلة المقصود ثقلها من محيطها الى آخر ثقباً انقباً في جميع سمك ساقها ويكون هذا الثقب اسفل الزر الاستهائي منها بانثي عشر قدماً ويكون محيط هذا الثقب عشرة قراريط ثم ينفذ فيسور قطعة من خشب اسطوانية تكوّن مع الساق صلباً ثم تحاط الساق من محل الثقب بمصر او غوصا يوضع فيها طين مبيط بالساق ايضاً ثم تثبت النخلة بواسطة حبال تربط فيها وفي الاشجار المجاورة لها وذلك لمنع قسها من السقوط بسبب ثقلها فتبقى هذه النخلة بدون حركة ولا تتذبذب بتأثر الهواء فيها وينبغي ان يسقى الطين المحيط بالثقب كل خمسة ايام مرة لاجل ان تثبت للنخلة جذور من هذه الجهة وبعد ثمانية اشهر يتأمل في الطين لينظر هل المذور الجديدة خرجت او لا ويستعمل لها جانب مناسب من السرجين نصفه من روث البهائم والنصف الآخر من زبل الحمام ويغنى بالطين وتبقى كل خمسة ايام مرة كما تقدم ففي آخر السنة يكون للنخلة جذور نامية بقدر الكفاية بحيث

يمكن قطعها من النخلة الاصلية فعند ذلك تُنشر بالنشار من اسفل الطين ببعض قراريط ثم تنزل مع الاحتراس وتُغرس في الحبل الذي أُعد لها مع الاحتياطات اللازمة بعد تسيد هذا الحبل بالسرجين الحيواني الباقي او زبل الطيور . والمادة ان تترع المهر المبيطة بالطين بل توضع مع النخلة في محل النرس انما تقطع الجبال التي كانت محيطه جا قبل ذلك . ثم بعد الغرس يوضع حولها طين رطب الى معاذاة الزر الاثباتي وتماط النخلة بما بقي هذا الزر من تأثير الاشعة الشمسية القوية وينبغي ان يُبنى حولها دائرة بالطين والطوب اللين لأجل وقايتها من الحيوانات ونحوها ايضاً . وفي السنة الاولى من غرسها لا تكتسب غمراً واما في الثانية او الثالثة فكتسب غمراً عظيماً بل وتعمل غمراً لا تختلف عن ثمار النخلة الاصلية في شيء . اهـ

هذا وقد عُرف بالاختبار ان هذا النبات ينمو في الاراضي الرملية حتى المالحة راتة .
يجود فيها ويأتي برية حسن قال ابن حجاج في كلامه عن كيفية امتحان تربة الاراضي الزراعية : « واما الاراضي المالحة فقد رأى القدماء الهرب عنها ولا تصلح عندهم لشيء ما خلا النخل فانه يجود نباته فيها ويكون كثير الثمر » . وقال بعد ذلك : « وما يوافق الاراضي المالحة النخل فانه ينشأ فيها نشأ حسناً » . وقال قسطنطوس : « وتجنب الارض المنتنة والمالحة غير ان المالحة تصلح للنخل » . ويوتوي النخل في الصحاري بماه السحاب وهو يستفيد من مائه اكثر مما يستفيد من ماء الانهار والجداول . وفي بلادنا السورية سهول واسعة وفي سواحلها اراضي كثيرة تصاح لزراعة النخيل الذي لواتبه اليه القوم تجنوا منه مكسباً وافراً وكان لهم من زراعته مورد عظيم . واذا راجعنا صفحات التاريخ تأكدنا انه قد كان لزراعة هذا الصنف في الزمن الغابر في بلادنا شأن خطير وايراد غزير

ومن العجب ان البعض من مزارعي بلادنا ينتكفون من زراعة النخيل لاعتقادهم انه يبقى سنين طويلة بعد زرعه بدون طرح ولا غلة . وقد ساد هذا الوهم عند الاكثرين منهم وما ذلك الا لجهلهم باصول زراعته وكيفية اخصابه . مع انه لو وُجّهت لهذا النبات العناية الواجبة وُغرس على حسب الاصول الزراعية وتقدمت له الخدمات اللازمة لجاد بجيراته في مدة لا تتجاوز الثلاث او الاربع السنين

٣ اصناف التمر

لرطب اصناف عديدة واشكال كثيرة تختلف باختلاف الاقاليم وطبيعة الاراضي والايوان والنصائل المأخوذة منها . ولذلك قد تعددت القابو واحسنه الورود من جهات

الحجاز والمدينة . واهالي تلك البلاد يدعون التمر بالعجوة كما ان تمر اليمن مشهور بجلاوته وبلذيد طعمه وطيب رائحته التي تشابه رائحة العطر . ويصدرون منه للخارج شيئاً كثيراً بعضه ضمن جلود الغنم والاعز او ضمن قفف من الحوص . واذا قاربت ثمار البلح الاستواء كان منظرها من اشهى المناظر . وقد جعلتها الطبيعة بموقف عال حصين وبمركز امين بيده عن مطامع القاصدين لا يجفها سوى صعوبة الصعود الى اعاليها ولا يصونها سوى مشقة التسلق على ساقها . ومع ذلك لا يأمن اصحابه على غلة هذه الثمار من اقضاض الطيور وفكها وهجوم طوائف التحلل وغزواتها وحملات سراذم الزناير ونهشها . ويجنى البلح في بعض البلاد وهو بسر ويصدر الى جهات بيده حيث يخاط بالحل او النييد لتجليل نضجه . ويحتوي البلح على مادة غروية عليية قابلة للاختار ولذلك يقاى اكثر اصنافه عند تمام النضج عفونة فيضحي من الصعب تجفيفها وحفظها . ومن بعض اجناسه ما يجف على الاشجار جفافاً جزئياً فيجنى ويعرض للهواء والشمس حتى يتم جفافه فاذا جف سهل حفظه زمناً طويلاً دون ان يدركه الفساد وتبلغ ذة النخلة الواحدة من النخل الجيد في سني الحصب ما يقارب المائتين اقة من البلح غير انهم يقدرون ان بكل ثلاث سنوات عام راحة وه يكون محصول النخيل قليل التمر ويدعو ذلك المزارعون بسني الراحة

٤ مربيّات التمر

ومن هذا التمر اللذيذ الطعم يُصنع ايضاً حبة مربيّات هي في غاية الجودة والطيب ولهم بتجهيزها وتحضيرها طرق كثيرة . نذكر منها اتماماً للبحث الطريقة الآتية : يكشط عن البلح القشرة الخارجيّة ويُسلق بده بالاء نصف سلقه ويُعرض حيناً للهواء حتى يبرد ثم يُترع منه التمرى بالضغط على احدى اطراف التمرة ويُجثى محل التمرى بالاوز الملوق او الفستق ويطبخ به ذلك بالسكر الذي يُضاف اليه باعتبار ان لكل اقة من البلح مائة درهم من السكر الناعم تقريباً مع قليل من الماء الى ان يطيب . وحرصاً من الاختار يضيفون اليه قليلاً من حامض الليمون والبعض يضيفون اليه لتحسين طعمه عود الترهّل او من قشر اليوسف اندي . وتمر المدينة اذا جف اشبه بالرني فيصدرون منه الى جهات مختلفة ضمن علب صغيرة من الحطب او الكرتون

ولهم في تعبته طريقة هندسية لطيفة تحفظ البلح هيته الطبيعية فيتهدى به القوم في بلاد الانكليز ومثله في روسيا وخلافها . ويصنع اهالي سوريا التمر ويصنعون منه حشوة لأعك الى غير ذلك . ويستخرج اقباط الصعيد من البلح مشروباً روحياً يشابه العرق الذي يصنع في بلادنا غير انه اشد مفعولاً واقرى منه تخميراً ويدعو المصريون هذا الكحول بزبيب البلح . ويصنع اهالي السودان صنفاً من الجمرة يستخرجونها أيضاً من البلح ومن الشعير . واذا قطعت النخلة او سقطت منكسرة بعزم الرياح يركل جمارها الطري الذي في اعلاها وطعمه لذيد يشبه طعم اللوز الطري

٥ منافع النخيل

اوردنا قبيل هذا ان منافع النخيل كثيرة وبياناً لذلك نقول انه فضلاً عن الربيع التحصل سنوياً من غلته يجني المزارعون من زراعة اشجاره حاصلات جمّة ومنافع عديدة . منها أولاً اليافه فتصنع منها الخبال لرباط المواشي والأطياب . لشد الحيام ولقضاء احتياجات كثيرة خلافاً . ثانياً سنف النخيل ويصنعون منه اقفاصاً تنقل بها الطيور والحضورات والاثار ويصنع منها ايضاً ادوات كثيرة هامة لخلافها ولصانعيها مهارة عظيمة ودراية كبرى بتطعيم الجريد وتجهيز معداته بسرعة عجيبة ورشاقة غريبة ويسهل معرفة سني النخيل من اثار قحوف الجريد التي تقطع عن النخيل سنوياً وهم يصرون عن كل سنة بمدرجين . ثالثاً خوص الجريد ويصنعون منه المقاطف والققف والزنايل ويستعمل ذلك اهالي عدن لتصدير البن واهالي رشيد لتصدير الارز واهالي طرابلس الغرب لتعبية العجوة كما انهم يصنعون من الخوص الحيد نوعاً من الحصر ويستخدمون ذلك في قضاء احتياجات كثيرة خلافاً مما لا يقع تحت حصر ولا ادراك . رابعاً نوى البلح ويصنع منه العربان عند الاحتياج علقاً للإبل اثناء رحلاتهم الى الصحاري والبراري فيطحنون النوى ويعجنونه مخلوطاً مع عقيم التمر ويجعلون منه اقراصاً اذا جفت يلعون بها الهجين وهو زاد قليل الكلفة رخيص الثمن . خامساً اخشاب النخيل يستعملها المزارعون في سد احتياجات كثيرة منها لتسييف المنازل وانشاء الجسور او بناء المابز خصوصاً للوقود والى غير ذلك